وسأملكه على الاسود يبيع فيه ويشترى وسأمده بالاسلحة التى تسوده على كل شىء

والطبقة الاستقراطية تشمل (Rel أو Mek) وأولاد نيارت (Nia ret) وأحفاده فى آريت (Nia-ret) وأحفاد أحفاده كوانى آريت (Kwaniaret) وهؤلاء فقط هم وارثو الملك أما العائلات المتفرعة عن الملوك الاقدمين فتسمى أورورو (Ororo) ولهم نفوذ عظيم الى هؤلاء طبقة قوية Kujurs وهم أطباء السحر تتمثل فيهم قوة القس والاطباء وام نيكواج يسمى كيى يا (Kieya) تتمثل فى التمساح ولذلك تقدسه وفى كل قرية هيكل لنيكواج وهو كوخ باسق حوله كوخان عاليان يزين أعلاها حراب بيض السلم وذلك لان نيكواج وفد من الصحراء يمتطى نعامة . واذا مات الملك تزوج صغار زوجاته من بعض أقربائه أما الطاعنات فى السن فيصبحن خفر المعابد وبنات الزعماء هن بنات نيكواج وعند زواجهن تقدم الضحايا زوجة نيكواج الكامنة فى بطن التمساح فيؤخذ عنز ويذبح على حافة نهر . وعجيب أن تفد التماسيح لاكل الدم أما اللحم فيرسل لحارسات المعابد وهم اذار أوادوامة ترابية تسجد والعالظنهم أن الله (نوك) يمر مختبئا فيها وهذه العواصف تكثر فى شهور الجفاف خصوصا بعد اشتعال النار التى يكثر عندئذ فى العشب والغابات

واذا تخلف المطر اقاموا رقصته لمدة ثلاث ليال أو أربع حول معبد نيكواج عند الغروب وهذه هى الرقصة الوحيدة التى يلبسون لها الاردية والعادة أن ينتظر الزعيم (كوجور) بعد الجفاف متحينا فرصة يرجح نزول المطر فيها ثم يقرع الطبول للرقص ويصلون وهم وقوف ووجوههم الى السماء فى غير حراك ساعات طويلة وكلهم ايمان بأن المطر سينزل سراعا وفى داخل المعابد تري مذبحا للضحايا من الغنم يقام من الخشب وترى فوقه بعض الطعام والمريسة يقدمها كل من أراد التقرب من الوسيط نيكواج

حفلة تتويج الملك : والملك (Mek) ينتخبه زعماء القبيلة من افراد العائلة المالكة وفى يوم التتويج يفد من فاشوده الى الضفة الجنوبية لنهرهم المقدس تحوطه جميع الحرس بحرابهم ويجتمع أهل القبائل بجيوشهم سائرين من القرى تحواسبوعين على الاقدام ويجب الا يتخلف احد الزعماء ويلبس الملك جلبابا مخططا وحزاما مزدوج اللون الازرق والاحمر وطربوشا أحمر قانيا وهو شعار الملكية ثم يركب حمارا ويظهر على ضفة النهر يحوطه الجند من العمالقة وعليهم الجلباب الاحمر فيحيي الجماهير للملك بحرابهم المرفوعة حتي يجلس على جلد نمر ويقدم أهل كاكا اقصى بلاد الشلوك شمالا مجلا أبيض ويقدم أهل توجا اقصى بلادهم جنوبا فتاة صغيرة . والبلاد يقسمها النهر المقدس قسمين حار Garr، ولواك Luak ولكل منهما زعيم وتحت هذين زعماء القرى فيتقدم أهل الشمال بالثور الى النهر فى مواجهة الملك ويهجم زعيمهم فيخترق جسم الثور بحربته ثم تتبعه سهام الناس من كل جانب فيسقط الثور ويسيل الدم الى النهر ثم يتقدم زعيم الجنوب الى الملك ويهدده الفتاة عارية فيقتلها الملك ويصيح الكل قائلين (أيوه ! أيوه !) وعندئذ يمكن لاهل الشمال ان يتخطوا النهر الى الضفة الجنوبية ويبدأ التتويج بأن يغسل الملك بالماء الساخن ثم بالماء البارد لكيلا تؤذيه تقلبات الحر حرا وبردا ثم يعامل بخشونة وقسوة من الجميع وعليه ان يطيع ويخضع لكي يتم التواضع ثم يركع له الجميع اجلالا لانه ابن نيكواج ثم يلبسونه خفا فى قدميه من جلد فرس الماء الفحل الخشن ليمشى به على مضض فيفهم معنى الفقر والتقشف ثم يقدم له الخدم بعض لحم الغزال وفرس الماء اشارة الى توافر اللحم والقناعة فى أكله ثم تقدم المريسة بمقادير كبيرة لكن عليه الا يسرف فى شربها ليدلهم على انه قنوع ثم يجرى اليه ثلاثة شبان بحرابهم تصوب الى صدورهم فيدفعها الملك بيده الى تلك الصدور حتى تدمى دلالة على انه سيحكم حكما صارما لكنه فى عدل . ورحمة وأخيرا يقف الملك ويخاطب الزعماء ثم يتقدم منثيا فيركع الجميع اجلالا — وهذا ما يفعله القوم دائما كلما رأوا الملك — وهو يتكلم فى تؤدة ووقار فيجيب القوم بصيحاتهم (أيوه! أيوه!) كلما قال بعبارة واحدة

فى التليفون

بقلم بتاح فى عهد احمس بطل استقلال مصر

وعبد الجليل أحد مخترعى الفرش

— ألو ! ألو ! من أنت ؟ — أنا بتاح ومن أنت ؟

— أنا عبد الجليل

— فى أى مدينة تكون وما جنسيتك .

— أنا فى البدرشين ، أنا حيث تمثال رمسيس العظيم ملك مصر العاتى ، أنا فى منف . . . العاصمة العظيمة التى امتلأت فى عهدكم بالحكماء والقضاة ورجال العلم والفن فأين أنت ؟

— أنا فى نفس المدينة لكن يخيل الى أن زمنا ما يفصلنا . انه يشبه الجبال العالية والصحارى المديدة الفسيحة . فأية أعجوبة هذه التى جعلت الارواح تعبر الازمان . لقد أثار اعجابنا عجلاتنا التى تطوى الارض طياً ولكن هاهو ذا شىء عجيب آخر يطوى الزمن لكن ماذا تفعل فى منف .

— أنا أعمل عملا جليلا . لو استطعت أن تمد يدك وراء الأجيال الى يدى لشعرت بالدم يجري فيها حاراً ملتهباً ان الفرح الذى يملأ نفسى لتضاءل أمامه كنوز العالم ومفاخره

— ان الذى تقوله عجيب . . . فأنت تصف ما أحس به تماما . فانى انتفض سعادة وانى لاشعر أن الدنيا تصغر فى عينى أمام هذا المبدأ العظيم الذى تخرج مصر لتحققه . فهل أنتم تفعلون ما فعلناه نحن منذ قرون . ماذا تفعل فى منف ؟

— انى هنا اجمع القرش — تجمعون القرش ؟ ماذا تعنى

— أعنى أننا نجمع من كل مصرى شيئا يتبرع به . شيئا نافها من ثروته . فاذا جمعنا هذه الثروات الضئيلة جمعنا ثروة ضخمة — وماذا تفعلون بهذه الثروة الضخمة ؟ لست أفهمك فلعل الاتصال الذي بنى وبينك قد اضطرب ، فان عقلى لا يستطيع أن يدرك من الذى يجمع هذه الثروات الصغيرة ولمن يجمعها — ثم لماذا . آه ، لعلكم تخشون المجاعة فتجمعون اليوم ما يقيكم شرها غداً وليس هذا شيئا عجيبا . لا ياصديقي لسنا نجمع هذه الثروات الصغيرة لشيء مما يجرى فى بالك . بل نجمعها لنشيد بها مصانع تخرج لنا ملابس نلبسها وما كل نأكلها ، وأثاثاً نؤثث به بيوتنا .

ولكن من الذى يقوم بهذا الجمع ؟ — الشعب ، الشبان الذين أنا احدهم . فأنا أترك العاصمة حيث الراحة والترف والهدوء . لأجوس خلال منف التى أصبحت قرية صغيرة فيصيبنى التعب ، والقى احيانا الاعراض ، وأرى غالبا الفقر ، فتذهب نفسي حسرات فى الحالين ومع ذلك لست أيأس ولا انقهقر

— انه احساس الامة ، بدأ غامضاً ، ثم اتضح شعورائم استحال فكرة ثم تجسد عملا .

— لابدأن تكونوا شعبا ناضجاً جدا . ان القوة التى فيكم هى القوة التى خلقنا بها الفنون وأوجدنا العلم ولكن فى نفسى سؤالا يضايقنى فدعني أسألك اياه : ماذا كنتم تلبسون قبل هذه المصانع التى تريدون تشييدها . هل كنتم عراة . ثم ماذا كنتم تأكلون . هل كنتم فى صوم ؟ — لا ، لقد كنا نشترى ثيابنا من غيرنا من الدول كذلك كنا نبتاع طعامنا . هل سمعت صرختى التى دوت . لقد أحسست بمثل مروق السهم فى جسمى حين سمعتك تفوه بهذه الحقيقة المريرة . لقد شعرت بالألم ، حين عرفت أن احفادنا يعيشون متسولين لايعرفون كيف يحيكون ثوبهم أو يصنعون طعامهم . . أنتم أهون من العبيد ماذا كنتم تفعلون لو منعوا عنكم الطعام ، وحجزوا عنكم الثياب . — اطمئن ، اطمئن يا أخي . فمصر اليوم من أولها الى آخرها فى ثورة على هذا الحال الاسود . وهو ينقشع وتبدو من بعد اضواء فجر جميل . فها أنا ذا قلت لك اننا نخرج فنؤسس مصانع تغسل عن كرامتنا هذه الاهانة التى جعلتك تصرخ . ومصر أنت تعرفها تستطيع ان تنتج لابنائها كل شيء الثياب التى يلبسون ، والطعام الذي يأكلون . ولكن ابناء أوروبا الفارة الناجرة التى لم تعرفوها ، عودونا أطعمة خاصة ، والوانا من الثياب بعينها ، فأصبحنا لا نستطيع ان نعيش بدونها فاستوردناها منهم . ثم خلقوا لنا صنوفا من الزينة فاشتريناها منهم ودفعنا ثمنها غاليا . وبذلك تسربت أموالنا الى جيوبهم .

***

ان أشد أنواع الاستعباد استعباد الروح والفكرة . ففى بلادنا اليوم أعداء ولكنا لانحسهم لان معتقداتنا ونظام حياتنا وأسلوب تفكيرنا ، لم يصلوا اليها ولم يؤثروا عليها . فنحن أحرار ولكنهم هم أنفسهم المستبدون فقد جاءوا الى مصر فغيرت عاداتهم وأخلاقهم وجعلتهم أمة جديدة — لعلك انت فى منف لتحارب هؤلاء الاعداء — نعم ، أنا مع مئات الالوف من أبناء مصر كل منا فى صدره قلب لو وضعت يدك عليه لاحسست بدم يهتز ويموج ، فى أيدينا سهاما وأقواسنا وهى تشتعل حرارة هى حرارة هذه القلوب . ثم ترتفع من حناجرنا أهازيج هى أهازيج الفوز والانتصار . وأمامنا قائدهو أحس محيطه الافئدة وتجرى وراءه الارواح ، وتتابعه العيون . لايقول شيئا الا فعلناه ولا يشير بيده الا أسرع اليه الشباب كله فى جسمه جروح لا تعد وفى جبينه شج هو خير من تاج . سنسير اليوم صفوفا صفوفا تعجب كثرتها قرص الشمس ، وتسير أقدامنا تطرق الارض طرقة متسقة موسيقية تطمئن لها الروح فتنشط لها النفس . ثم تتقدمنا العجلات الحربية فيها الشبان الذين كشفت ثيابهم عن أذرعهم القوية الجبارة ، وصدورهم التى ترتفع وتنخفض انتظارا للمعركة التى يرتفع فيها اسم مصر ، انى سعيد ياأختى ، انى سعيد ، فدعنى أغنى وأرقص . فان ساعة الفوز قادمة — ولكن ألا تفكر فى انك قد تموت !

— أموت ! ما أبدع وما أروع ! وهل ثمة ميتة أعز من هذه الميتة ؟ لقد مات فى معركة أمس صديق لى فلما اقتربت منه أساعده وجدت شفتيه تضطربان وعليهما بسمة . ثم همس فى أذنى .. ما أسعدك ليهبك الله شرف هذا الموت ! »

ولقد أصاب سهم جنب ابن عمى ، فذاق عذابا لو نال الاهرام لذابت ، ولكنه كان يغمض عينه ويضغط على شفتيه ، وتملأ الصفرة صفحة وجهه وهو لا يكاد يئن . انه يستعذب الألم ، انه يستطيب العذاب ، ما دام ذلك من أجل هذا الوطن الذي نعيش فيه . انمصر تهب القوة والجلد والصبر . انها لتخلق من الجبناء الضعفاء مقاتلين اقوياء . دعنى ياصديقى أغنى فان ساعة المعركة قادمة ، سنمضى مثلكم فى جيوشنا السلمية : صفوف منظمة ، أساليب محكمة وايمان يملأ القلب . كل سنة نشيد مصنعا تصنع فيه الكرامة المصرية التى تستسلمة من جديد . وفى كل لحظة تبشر بمصر التى وهبت للدنيا الفن والحكمة ، وعلمتها الزراعة والصناعة ورفعت للعالم مشعلا لم ترتفع له منذ آلاف السنين

سيد قطبى رضوان

سرير رقم ٣٣ السادس الاسرائيلى ١٥ يناير سنة ٩٣٢